جهود الشيخ أحمد زروق في خدمة العقيدة الإسلامية من خلال كتابه "النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية"

ناجي محمد سالم فرة

جامعة المرقب / كلية علوم الشريعة

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية:
زروق-العقيدة-النصيحة

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:
يعد الشيخ أحمد زروق -رحمه الله - من المشايخ الذين كانت تآليفهم تتسم بالموضوعية والواقعية التي تلامس المجتمع، وخير دليل كتابه "عدة المريد الصادق" الذي بين فيه وجه التصوف الصحيح منتقداً اولئك الذين عايشهم من المتصوفة الذين مالوا وغالوا عن التصوف الصحيح، وكذلك تأتي دراستي على كتاب" النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" في هذا الإطار حيث بيَن الشيخ في كتابه جملة من النصائح التي خاطب بها المجتمع آنذاك وفي كل وقت مشتملاً على النصائح العقدية والسلوكية.

أهمية وأسباب اختيار البحث:

• الوفاء لعلمائنا، من خلال تسليط الضوء على جهودهم المبذولة في خدمة المجتمع فقهاً، وعقيدةً، وسلوكاً.

• التعريف بأحد أعلام ليبيا، وليبيا كغيرها من الأقطار العربية والإسلامية الأخرى، كان لها وما زالت - بفضل الله تعالى - علماء ينيرون للناس دروبهم، ويرشدونهم إلى ما فيه خير صلاحهم في دينهم ودنياهم.

• رجوع الناس إلى علمائهم، والرفع من مكانتهم، وإبراز مؤلفاتهم، وعدم استنقاصهم والطعن واللمز فيهم، والتقليل من أهميتهم ومكانتهم العلمية.

• القيمة العلمية لكتاب "النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" المتمثلة في توجيه الناس ونصحهم من خلال سوق الأدلة الشرعية.

وتركَّز البحث على تلك النصائح العقدية، حيث جاء الكتاب على هيئة نصائح، التزم فيها الشيخ حديث النبي- صلى الله عليه وآله وسلم -: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ". التي تبلورت جهود الشيخ زروق في بيانها.

ويندرج هذا البحث تحت المحور الأول: وهو جهود علماء ليبيا في خدمة العقيدة الإسلامية.

اتبعت في هذا البحث مناهج متعددة، مبيتدئاً بالمنهج التاريخي عندما تحدثت عن الشيخ زروق- مولده- وحياته- ومؤلفاته وتلاميذه..... إلى آخره، وبالمنهج الوصفي عندما تحدثت عن كتابه النصيحة، ثم بالمنهج الاستقرائي في بيان جهوده التي تتعلق بالجانب العقدي.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن نعم الله علينا أن أرسل الله لنا رسولاً جعله خاتماً لرسالاته مبّيناً ومشرّعاً، فما ترك خيراً للأمة إلا دلَّها عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، ومن تمام النعمة علينا أن حفظ أصحابه من بعده شريعته فما غيروا فيها ولا بدلوا، بل تمسكوا بسنته وعضُّوا عليها بالنواجد، فكان فهمهم لنصوص الشرع مصدراً من مصادر التلقي، وقد سخر الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، ويبين لها دروب الحق من خلال العلماء المجتهدين فالعالم الذي اجتهد وأصاب له أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد، ومن العلماء الذين نحسبهم اجتهدوا وأصابوا الشيخ زروق – رحمه الله – وذلك من خلال تآليفه التي دلت على جهوده في خدمة الشريعة فقهاً، وعقيدةً، وسلوكاً وتركيزنا منصب عليه في هذه الورقة البحثية من خلال جهود علماء ليبيا في خدمة العقيدة الإسلامية، فكان جهد الشيخ – رحمه الله – بيّناً واضحاً فيما يتعلق بالعقيدة من خلال كتابه " النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية "؛ فقد عالج العديد من القضايا العقدية والسلوكية في كتابه هنا، وهذا ما سنسلط عليه الضوء في هذه الورقة البحثية من خلال محورين:

المحور الأول: دراسة موجزة عن حياة الشيخ زروق – رحمه الله – ومكانته العلمية، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته، وشيئاً من سيرته العلمية، وأهم شيوخه، وتلاميذه، وسنة وفاته.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والسياسية في زمن الشيخ زروق -رحمه الله-.

المحور الثاني: التعريف بكتاب" النصيحة لمن خصه الله بالعافية" من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: منهج الشيخ زروق – رحمه الله – في كتابه.

المطلب الثاني: جهود الشيخ زروق- رحمه الله – في خدمة العقيدة من خلال كتابه " النصيحة".

المحور الأول: دراسة موجزة عن حياة الشيخ زروق – رحمه الله – ومكانته العلمية.

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته، وشيئاً من سيرته العلمية، وأهم شيوخه، وتلاميذه، وسنة وفاته[1].

اسمه[2]:

شهاب الدين أحمد بن احمد بن محمد بن عيسى أبو العباس، البُرْنُسي الفَاسِي، اشتهر بزروق، وهذا اللقب تحصَّل من جده لأمه لزرقة عينيه، كما جاء في كناشته[3].

وأما البُرْنُسي نسبة إلى قبيلة بربرية بين فَاس وتَاز، وبعض المراجع تسميه" البَرْنُوسِي" بزيادة واو بعد النون؛ لكن البُرْنُسي بدون واو هو الأصح، وذلك لذكره له هو بنفسه في أرجوزة له معرفاً بنفسه فقال في بدايتها:

يَقُول رَاجِي رَحمَةَ الغَفَّارِ ... أَحْمَدُ نَجل أحمد الْخَضَارِ

البُرْنُسي الأصل ثم الفَاسِي ... المشتهرُ زَرُّوقُ بَيْنَ النَّاسِ

ويرد هنا إشكال آخر بالنسبة للقبه، فقد ذكر في البيت السابق لقب الخَضَار ومنهم من يكتبها الحَضَار (بالحاء المهملة) ولعل هذا هو الصواب كما ذكره عبد الله كنون في " ذكريات مشاهير رجال المغرب" حيث قال: " ولعل الحضار بالحاء المهملة هو الصواب؛ لأن لقرية " تِيلَوان" التي دفن فيها والده وادياً يسمى الحَضَار - بالحاء المهملة والضاد المخففة - كما أخبره بذلك صديق له يسمى بالسيد السمّار عالم شِفْشَاون فيحتمل أن المترجم نسب نفسه إلى هذا الوادي"[4]

وذكر الشيخ زروق – رحمه الله – في كناشته أن والده سمَّاه بداية الأمر "محمد" وبعد وفاته سمته جدته " أم البنين " أحمد.

مولده:

ولد الشيخ أحمد زروق – رحمه الله تعالى - يوم الخميس 22 محرم 846 هجري، وتوفيت أمه بعد ثلاثة أيام من ولادته، وتوفي أبوه في اليوم الخامس نتيجة للطاعون الذي ضرب مدينة فاس، وقد عرف بطاعون " عزونة".

وكانت وصية والده – كما في الكناش- أن ترعاه جدته لأبيه، بيد أنه تربى في حجر جدته لأمه التي تُكَنّى " بِأُمّ البَنِين" واسمها فاطمة، وكانت امرأة صالحة، لها دور في تربية حفيدها على الاستقامة والتقوى، يقول الشيخ زروق – رحمه الله – في كناشته: " وعلمتني الصلاة، وأمرتني بها وأنا ابن خمس سنين، فكنت أصلي مذ ذاك، وأدخلتني الكتاب في هذه السن، فكانت تعلمني التوحيد، والتوكل على الله، والإيمان، والديانة بطرق عجيبة، وذلك أنها كانت في بعض الأيام تهيئ لي طعاماً، فإذا جئت من الكتاب للفطور، تقول: ما عندي شيء، ولكن الرزق في خزائن مولانا عز وجل، اجلس نطلب الله، فتمد يديها، وأمد يدي إلى السماء داعين ساعة، نم تقول: انظر لعل الله جعل في أركان البيت شيئا ... ، فنقوم نفتش أنا وهي، فإذا عثرت على ذلك الطعام يعظم فرحي به، وبالله الذي فتح به، فتقول: تعال نشكر الله قبل أن نأكله، لأجل أن يزيدنا مولانا، فنمد أيدينا ونستمر في الحمد والشكر ساعة، ثم نتناوله، ونفعل ذلك المرة بعد المرة، حتى عَقِلْتُ"[5]

"وكانت تحدثه بدل الخرافات التي اعتاد العجائز أن يسلُّوا بها الصغار بمعجزات رسول الله ﷺ وسيرته المباركة، وغزواته، وسيرة السلف الصالح، وكراماتهم؛ لتكون قدوة له ومثلاً له في بلوغ مراتبهم، والتأسي بسيرتهم، وكانت كثيرا ما تردد عليه قولتها: لا بد من تعلم القراءة للدين، والصناعة للمعاش، فتربى زروق بذلك على الجد والمثابرة" .

ولما بلغ العاشرة توفيت جدته" أم البنين" ولايعلم من تولى تربيته بعدها، ولعل أحد الأقارب قام بتربيته، وهناك احتمال آخر، وهو أنه صار يكسب قوته من العمل كصبي خراز يعتمد على نفسه، وببلوغه سن السادسة عشرة تغير مجرى حياته، فأصبح همه الوحيد هو طلب العلم.[6]

[1] ينظر ترجتمته في: الضوء اللامع (222/1) ، ودوحة الناشر رقم 33، وشجرة النور الزكية، ص:267 ، والأعلام (87/1).
[2] ينظر: الكناش، صور من الذكريات الأولى للشيخ أحمد زروق، تحقيق: علي فهمي خشيم، ص:11.
[3] هي عبارة عن كشكول من المعلومات دَوَّن فيها الشيخ نشأته ومراحل تعليمه ومشايخه وحله وترحاله، وإفادات تاريخية عن مجتمعه، وغيرها، ينظر: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، محمد المنوني(118/1)،
[4] ذكريات مشاهير رجال المغرب، عبدالله كنون، ص:6.
[5] الكناش، ص:25.
[6] ينظر: الشيخ أحمد زروق وآراؤه الإصلاحية، تحقيق ودراسة لكتابه " عدة المريد الصادق" ،إدريس عزوزي.

نشأته وحياته العلمية[1]:

عاش الشيخ زروق – رحمه الله – يتيماً في كنف جدته لأبيه، فكفلته وربته تربية حسنة، فحفظ القرآن قبل أن يبلغ العاشرة من عمره، وعند بلوغه سن السادسة عشر توجه إلى جامع القرويين بفاس، فقرأ رسالة ابن زيد القيرواني على الشيخين: " علي السّطّي " و " عبدالله الفَخَّار"، بالإضافة الى علوم القرآن والحديث.

وقرأ البخاري على " الْقُوري" وسمع منه كثيراً، كما قرأ عليه كذلك كتاب " أحكام عبدالحق" و " جامع الترمذي".

وكان الشيخ زروق – رحمه الله – يُدَوّن من درس عليهم في كناشه.

رحلته إلى الشرق:

عزم الشيخ زروق – رحمه الله- على أداء فريضة الحج سنة 875 هجري، وفي طريقه التقى بعدد كبير من فقهاء تونس وطرابلس، وعند وصوله إلى مصر التقى بعدد من العلماء، واستقر بها سنة قبل مواصلة الطريق إلى الحج، ثم واصل رحلته إلى أن وصل إلى مكة المكرمة ثم المدينة التي مكث بها قرابة السنة .

وعند رجوعه من الحج أقام بمصر سنة، تتلمذ خلالها على كثير من الفقهاء والعلماء مثل: الحافظ السَّخَاوِي، والشيخ نورالدين السَّنْهُوري وأبو العباس الحَضْرَمِي .

ومن أهم الكتب التي درسها بمصر كما ذكره في كناشه: الأحكام الصغرى لابن عبدالحق، والرسالة القُشَيْرية، وصحيح البخاري، وقُوتُ الْقُلُوب لأبي طالب المكي، وإحياء علوم الدين للغزالي .

وفي عام 877 هجري رجع الشيخ زروق – رحمه الله – من مصر إلى المغرب، فأقام بمدينة بجاية في الجزائر فترة من الزمن، ثم رجع في عام 880 إلى وطنه فاس، ولكنه لم يستقر به المقام بها لحدوث جفوة بينه وبين علمائها، ويذكر لنا صاحب كتاب " دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر" سبب الجفوة التي حصلت بينه وبين علماء فاس من أنه بدأ يسأل فقهاءها عن أسباب أقواتهم، فقال بعضهم: معظم القوت من الأوقاف المحبسة، فأنكر عليهم، وحدثت العداوة والجفوة، وقد ذاعت شهرته وتقدمه العلمي على أقرانه ومواقفه الإصلاحية؛ الأمر الذي جعل الحساد والحاقدين له يكرهونه، لاسيما وأن الشيخ زروق -رحمه الله – معروف بأنه دائم الهجوم والإنكار على أهل البدع من الصوفية وغيرهم، وهو يدعو إلى الإصلاح الديني ورجوع الناس إلى أسس الشريعة بمنظور جديد يجمع بين الفقه والتصوف، فلهذا تصدى له علماء فاس؛ لأن هذا المذهب لم يَرُق لبعضهم .[2]

غادر الشيخ زروق - رحمه الله- فاس بعد أربع سنوات، ورجع إلى مدينة بجاية، لكنه لم يستقر بها طويلاً، ثم اتجه إلى مصر لتجديد الصلة بشيوخه، ومن هؤلاء شيخه السّخَاوي الذي حصل منه على إجازة، وكذلك حصل على إجازة أخرى من الشيخ الدِّيَمِي.

ذاع صيت الشيخ زروق -رحمه الله- وكان له شأن كبير في والتربية والتعليم، ففكر في مقر إقامة جديد ينشر فيه رسالته الإصلاحية بعد أن نبذه أهل فاس، فكانت مصراتة وجهته.

لماذا مصراته؟

اختار الشيخ زروق – رحمه الله – مصراته مستقراً له؛ لأنه وجد ضالته المنشودة فيها من حيث الهدوء والسكينة وراحة البال، وكانت تتميز عن سائر المدن بالبساطة والسكينة، فمجتمعها محافظ يتميز باحساس ديني كبير، إضافة إلى ما لقيه من أهلها من الترحيب والاحترام والتقدير فطاب له المقام فيها، وكان ذلك سنة 886 هجري، ووطد هذا المقام بمصاهرة أهلها فتزوج من " أَمَةِ الجليل" بنت " أحمد بن زكرياء الْغَلْبَاوي" فرزق منها بولدين: "أحمد أبو الفتح" و" أحمد أبو الفضل" وبنتاً اسمها : "عائشة".

وتذكر بعض المصادر أن معرفة الشيخ زروق – رحمه الله- بمصراته ترجع إلى مروره بها في أسفاره الكثيرة ذهاباً وإياباً من المغرب إلى المشرق. [3]

[1] ينظر: الضوء اللامع (222/1)، ودوحة الناشر رقم 33، وشجرة النور الزكية، ص:267، والأعلام (87/1).
[2] ينظر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق: محمد حجي،ص: 49-50 م.
[3] ينظر: الشيخ أحمد زروق وآراؤه الإصلاحية، ص:70.

أهم شيوخه[1]:

تتلمذ الشيخ زروق على عدد من الأعلام المشهورين في فنون مختلفة من العلوم، ذكرهم في (كناشه)، ومن أهمهم:

1 - أبو عبد الله محمد بن قاسم الْقُوري، (ت: 872).

2 - عبد الله التجيبي الملقب بالأستاذ الصغير، (ت: 887).

3 - عبد الرحمن الثَّعَالبي، (ت: 872).

4 - أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المِشْذَالي، (ت: 866).

5 - أحمد بن سيد الحباك المُكناسي ، (ت: 870).

6 - محمد بن قاسم الرَّصَّاع، (ت: 894).

7 - أم هانئ العَبْدُوسية، (ت: 860).

8 - محمد الزّيْتُوني.

9 - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السَّخَاوِي، (ت: 902).

10 - أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الزليطني المعروف ب حُلُولُو ، (ت: 898).

11 - نور الدين السَّنْهوري ، (ت: 889).

12 - أحمد بن عقبة الْحَضْرَميّ ، أبو العباس (ت: 895). وغيرهم كثيرون.

أهم تلاميذه[2]:

أخذ العلم عن الشيخ زرّوق الجمّ الغفير من طلبة العلم من مصر وليبيا وفاس بالمغرب، ومن أشهرهم:

- شمس الدين اللّقاني ت (835هـ).

- ناصر الدين اللّقاني ت (856هـ).

- محمد بن عبد الرحمن الرُّعَيْني المشهور بالحطّاب، صاحب كتاب (مواهب الجليل شرح مختصر خليل) ت (845ه).

- عبد الوهاب الشَّعْراني ت (873هـ).

وفاته:

بعد أن استقر به المقام في مدينة مصراته لم يخرج منها إلا مرتين، مرة إلى الجزائر، وأخرى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة 894 هجري، وقضى بها ما تبقى من عمره، وتوفي بها رحمه الله يوم الثامن عشر من شهر صفر سنة 889 هجري. رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له، وأسكنه فسيح جناته.

[1] ينظر: عدة المريد الصادق، تحقيق : الصادق عبدالرحمن الغرياني، ص:11.
[2] ينظر: عدة المريد الصادق، تحقيق الدكتور: الصادق عبدالرحمن الغرياني، ص:12.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والسياسية زمن الشيخ زروق -رحمه الله-.

الحالة الاجتماعية:

كانت الحياة الاجتماعية -آنذاك – في فاس- مليئة ببعض الاعتقادات الخرافية، ومن مظاهرها كثرة الشعوذة في الأسواق والطرقات، ولهذا نجد الشيخ زروق – رحمه الله – قد أفرد فرعاً له في كتابه "النصيحة". وكان انتشار البدع والخرافات من أبرز مظاهر الحالة الاجتماعية كما نص على ذلك الناصري في الاستقصا، وظهر أدعياء ينشرون الزندقة والإلحاد مثل: عمرو بن سليمان السَّيَّاف الذي ادعى أن أحكام الكتاب والسنة قد ارتفعت، ولم يبق إلا ما يقوله له قلبه.[1]

ومن المفارقات العجيبة أن الحياة العلمية في القرنين الثامن والتاسع الهجري كانت تسير على عكس الحياة السياسية في المغرب الإسلامي، فقد كانت فترة عطاء وازدهار علمي، وكان تشجيع الدولة للحركات العلمية يتخذ صوراً وأشكالاً مختلفة على مر العصور من بناء المدارس والزوايا والمساجد و تزويدها بالخزائن العلمية، ومساعدة الطلبة بالمنح والجوائز و عقد المجالس العلمية و تبجيل العلم والعلماء ورفعهم إلى مستوى مرموق في هياكل الدولة.[2]

وكثرت في زمنه الزوايا والطرق والمشايخ – نقصد هنا مشايخ الطرق الصوفية – وأكثرهم كانوا من أصحاب الخرافات، وتصدى لهم الشيخ زروق -رحمه الله- بالإنكار عليهم والتشنيع بهم فيما يقترفونه من بدع، وما يدعونه من أباطيل وضلالات، ولعل أهم كتاب له يدور في فلك هذا الموضوع كتابه: "عدة المريد الصادق".

الحالة السياسية:

عاش الشيخ زروق – رحمه الله- أواخر الدولة المَرِينِيّة (800-869) هجري، وبداية عصر الْوَطَّاسِيِّين، وهذه الفترة عانت فيها المنطقة من ويلات الخلافات والاضطرابات سواء كان داخل كل دولة من دول المغرب الأقصى والأوسط والأدنى وطرابلس، أو بين هذه الدول مع بعضها البعض، وانتشرت الفتن في سائر الأقاليم، ممّا أدى إلى انفصال بعض النواحي عن المملكة، وتكوين إمارات مستقلة[3].

ومن الأزمات التي حلت بالبلاد في هذه الفترة تصاعد الهجرات الأندلسية الى المغرب، وعند تتبعي لأحوال البيئة المغربية في عصر بني مَرِين وجدت بعض المشاهير الذين تتمثل فيهم هذه البيئة المغربية خير تمثيل؛ لأنهم عاشوا ونشأوا فيها منذ حداثة سنهم، ومنهم الشيخ زروق – رحمه الله – فقد كان له الأثر الكبير على هذه البيئة، وكان له ذكر أكثر من غيره في المصادر آنذاك؛ والسر في ذلك راجع إلى ما كان يتمتع به من شهرة واستجابة لروح العصر وتيار بني مَرِين آنذاك.[4]

عاش الشيخ زروق – رحمه الله – في بلد كان يعج بالصراع الدائم بين الدول الثلاثة، دولة بني حَفص في المغرب الأدنى، ودولة بني زَيَّان في المغرب الأوسط، ودولة بني مَرين بالمغرب الأقصى، هذه الدول التي قامت على أنقاض دولة الموحدين بعد أفول شمسها.

فقد شهد الشيخ زروق – رحمه الله – فترة انتقالية تميزت بالاضطراب السياسي، ويتعلق الأمر بفترة اضمحلال دولة بني مرين واستتباب الأمر للوطَّاسيين، وقد ذكر السّلاوي في كتابه الاستقصا موقف الشيخ زروق – رحمه الله- من مقتل السلطان المَريني عبدالحق فقال: " ونقل الثقات أن الشيخ أبا العباس أحمد زروق - رحمه الله - كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبي فارس الورياكلي لما صدر منه في حق السلطان عبد الحق، وكان يقول لا آمن الغندور على صلاتي يعيبه بذلك والغندور في لسان المغاربة ذو النخوة والإباية وما أشبه ذلك والله يتغمدنا والمسلمين برحمته آمين"[5].

فلم يكن في وسع بني مرين إبَّان هذه الظروف إلا أن أطلقوا العنان والحرية للناس للتعبير واعتناق ما يرغبون في اعتناقه من المذاهب والأفكار.[6]

---

[1] الاستقصاء(122/4).
[2] شرح المقدمة القرطبية، أحمد زروق، تحقيق: أحمد زقور، ص:31.
[3] الحركة الفكرية في عهد السعديين ص:37، مطبعة فضالة سنة النشر 397 هجري.
[4] دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، محمد بن أحمد شقرون، ص:75.
[5] الاستقصا، ص: 100
[6] وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ، عباس الجراري ، ص:9.

المحور الثاني: التعريف بكتاب" النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" ويتضمنً المطالب الآتية:

المطلب الأول: منهج الشيخ زروق – رحمه الله – في كتابه النصيحة.

كان الشيخ زروق – رحمه الله – موسوعة علمية، جمعت عدة علوم ومعارف، وقد كان له منهج واضح في تآليفه وغلبت عليه سمتان في تآليفه:

السمة الأولى: التبسيط، فقد حرص على تبسيط التعاليم التي كان يوجهها للناس وذلك بتوجيههم إلى اتباع الكتاب والسنة، والابتعاد عن البدع والضلالات؛ فلهذا نجده دائم الاستشهاد بالقرآن والسنة في كل موضوع يتطرق إليه في كتابه النصيحة.

السمة الثانية: التيسير، وحرص كذلك على تيسير المصطلحات والمفاهيم التي يتطرق إليها، ونادراً ما يأتي بالتعبيرات المبهمة أو الكلمات الغامضة، ولعل هذا راجع إلى إيمانه بأن على الكاتب أن يَتَوَخَّى البساطة في الأسلوب والسهولة في التعبير حتى يتمكن قارؤوه من الفهم والإدراك.

ألّف الشيخ زروق – رحمه الله – كتابه "النصيحة" من باب النصيحة عملاً بقوله ﷺ : " الدين النصيحة " وكما ذكر الشيخ في مقدمة كتابه: " فالنصيحة من الإيمان، والتخلق بها من علامات الإيمان، وأعظم الناس جهلا من جهل نفسه وأهمل أحواله حتى دخل رمسه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله الأَمَانِيَّ)[1] وقال -عليه الصلاة والسلام- أيضا-: (الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله قال: لله ولرسوله ولكتابه وعامة المسلمين وخاصتهم)[2] .[3]

يعد هذا الكتاب من الكتب الإصلاحية التي دأب فيها الشيخ على إصلاح الناس فقهاً وعقيدةً وسلوكاً، وقد قسم كتابه إلى خمسة أبواب:

الباب الأول: النصيحة لله، الباب الثاني: النصيحة لرسوله ﷺ ، الباب الثالث: النصيحة لكتابه، الباب الرابع: النصيحة لعامة المسلمين، الباب الخامس: النصيحة لخاصة المسلمين.

وقد ألفه سنة (877) هجري برواق الرّيَافة من الجامع الأزهر بالقاهرة.

المطلب الثاني: جهود الشيخ زروق- رحمه الله – في خدمة العقيدة من خلال كتابه " النصيحة".

من المبادئ التي بنى عليها الشيخ زروق – رحمه الله -كتابه ما يلي:

- تحكيم الكتاب والسنة، والنهي عن البدع.
- الرجوع إلى مذهب السلف فيما يخص الاعتقاد من التنزيه ونفي التشبيه.
- عقيدة المؤمن في آل بيت النبي ﷺ ، وما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم.

لطول الموضوع وقلة الوريقات اقتصرت على نماذج تبيّن ما ذكرته آنفاً من المبادئ التي اعتمدها الشيخ زروق – رحمه الله- في كتابه، وسأذكر بعض المسائل التي نبه عليها الشيخ زروق في كتابه، مستأنساً بما يذكره في كتبه الأخرى للاستشهاد بها.

تحكيم الكتاب والسنة:

عقد الشيخ فصلاً كاملاً في الأمر بتحكيم كتاب الله عزوجل، وفصلاً في الأمر بتحكيم السنة، وقد أفاد وأجاد الشيخ في استدلالاته، نجده ذلك واضحاً في حديثه في الباب الثالث من الفصل الثاني: العمل بمأموراته ، أي القرآن الكريم – فقال: " وأما العمل بمأموراته: فهو مُحْتَوٍ على أمرٍ، ونهيٍ، وخبرٍ، فالأمر وجوبي وندبي، والنهي تحريمي وتنزيهي، والخبر تقريري وإعلامي.

فالتقريري: ما وقع فيه من التوحيد، وذِكْرِ ما يوجب العقل وجوده، إذ ليس للشرع في ذلك إلا تقريره.

والإعلامي قسمان: إعلام يوجب اتّعاظا، كأخبار الأمم السالفة، وما وقع لهم، ولهذه الأمة.

---

[1] أخرجه الترمذي (638/4)، رقم الحديث: 2459.
[2] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة (74/1)، رقم الحديث (95).
[3] النصيحة الكافية، ص: 15.

وما يوجب اعتقاداً، كالعلم بالله الذي لا سبيل إلى القياس فيه، إلى غير ذلك.

والأمر يُطلب اتباعه، والنهي يُطلب اجتنابه، والخبر يجب تصديقه، واعتقاده."[1]

وقد قرّره كذلك في كتابه القواعد فقال: " لا حكم إلا للشرع، فلا تحاكم إلا له، قال الله تعالى:ﱡ كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به ﱠ (النساء: 59).

ونجده كذلك يحث على التمسك بالسنة واتباعها في مواضيعَ مختلفة من كتابه، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك، منها:

عندما ذكر في الباب الأول من أوامر الله تعالى الصلاة، فقال: ومنها – أي من آفاتها – " أن تكون له سور معلومة، لا يقرأ بغيرها، نحو: والسماء ذات البروج في العصر، عملا بما ذكره بعضهم من أن خاصيتها: عدم الدماميل، والذي عندي أن كلامه ينبغي حملة على قراءتها بعد الصلاة؛ إذ البدعة شر كلها، والخير كله في اتباع السنة."[2]

وكذلك بَيَّن السنة في الأكل والشرب فقال: " وليس من السنة البسملة والحمدلة عند كل لقمة."[3] وعند حديثه عن الخواطر قال: " وفرائضها مجردة عن غيرها، وهي ستة: اعتقاد الإيمان، وتجنب الكفر، واعتقاد السنة، وتجنب البدعة، واعتقاد الطاعة، وتجنب المعصية، نسأل الله العصمة بِمَنِّهِ وكرمه."[4]

وقد أفاد الشيخ أيَّما إفادة عند حديثه عن اتباع السنة في كلامه في الباب الثاني: النصيحة لرسوله في الفصل الأول عند حديثه عن: اتباع سنته ﷺ فقال: " وأما اتباع السنة: فهو العصمة من كل خلل، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (عَلَيْكُم بِسنتي وَسنة الْخُلَفَاء الرَّاشِدين من بعدِي، عضوا عَلَيْهَا بالنواجذ) ."[5]

كذلك نصَح من عسرت عليه التوبة إلى اتباع السنة، فقال -رحمه الله- : " واتباع السنة، والصلاة في الجماعة، عصمة من الانقلاب"[6].

ومن البدع التي نبه عليها الشيخ زروق – رحمه الله- فيما يتعلق بالصيام عدم التعجيل بالإفطار طلباً للتمكين من غير شبهة قائمة أو تأخيرٍ للسحور، لمجرد الوسوسة.[7]

وعند حديثه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذكر شروطه، فقال: ومنها العلم، وقيده بالكتاب والسنة، فقال: " فالعلم كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام - وما وَلَاهُمَا من فقه ولغة ونحوها.[8]

ثم حذَّر من الكذب على رسول الله ﷺ خاصةً فيما يوجب حكماً، أو في وضع الأحاديث في فضائل الأعمال، مبيناً أن التمسك بالسنة مما جاء صحيحاً عن النبي ﷺ، قال - رحمه الله – عندما تحدث عن المحارم اللسانية: " فأعظم الكذب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يوجب حكما، أو ينقض أصلا، ثم الكذب في الأخبار التي لا توجب ذلك عنده، وإن أوجبت مصلحة، كصلوات الأيام والليالي الفاضلة، والآيات وسائر الأحاديث الموضوعة، وروايتها من غير بيان إثم، كعامل بها، وهي ما روي عن أبيّ بن كعب- رضي الله عنه-، في فضائل السور، سورة سورة، وقال الشيخ أبو عبد الله البلالي: وأخطأ من ذكره من المفسرين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[9] قيل وهذا تبشير بسوء الخاتمة. وحكى إمام الحرمين قولا في الإرشاد بتكفير الكاذب عليه صلى الله عليه وسلم متعمدا، وهو ضعيف."[10]

الرجوع إلى مذهب السلف فيما يخص الاعتقاد من التنزيه ونفي التشبيه.

عند استقرائنا لنص الشيخ زروق – رحمه الله – نجد أن مذهبه يدعو إلى الرجوع إلى مذهب السلف في الاعتقاد، وقبول كل ماورد من النصوص الموهمة للتشبيه، كما وردت من غير تعرض للتكييف ولا للتأويل، ويرى أن مواضيع العقيدة ثابتة لا شبه فيها، ويرى البعد في العقيدة عن كل مواضع الشبه والخلاف، والأخذ بالأمر الثابت القويم، فهو يرى مثلاً أن حفظ مقام العبودية يقتضي البعد عن نداء الله تعالى بتعبير (يا هو) ، لما فيه من الإيهام والتسوي، وهذا لا يليق بالربوبية، ويرى كذلك البعد عن الاشتغال بعلم الكلام والجدل والمنطق، وأن مذهب السلف يقتضي تجنب هذه الأوهام والاعتقادات.

ولكي يزداد الأمر وضوحاً أنقل نصه كاملاً فيما يتعلق بهذه المسألة فيقول: " وأما الباطل: فكل شيء ليس من الحق، ولا يهدي إليه، قال الله سبحانه:ﱡ لم له مج مح مخ ﱠ (سورة يونس الآية:32)

---

[1] النصيحة الكافية ،ص:132.
[2] المصدر السابق ،ص: 27
[3] المصدر السابق ، ص: 106
[4] المصدر السابق ، ص: 112
[5] النصيحة الكافية ، ص: 119
[6] المصدر السابق ، ص: 115
[7] المصدر السابق ، ص: 33
[8] المصدر السابق ، ص: 36
[9] أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: إثم من كذب علي النبي (33/1)، رقم الحديث(110)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الطبعة: الأولى، 1422هـ
[10] النصيحة الكافية ، ص: 46

ومن الباطل – أيضاً-: السحر، والطلسمات، والعزائم، والأشكال، والموالد، والخط والفأل، والقرعة.

قيل: والمنطق والجدل، والكلام، والموسيقى، يريد إذا لم يكن الأربعة مقصودة لرد باطل أو إثبات حق، فلا يحل الكلام لمسلم في ذلك، تعلماً، وتعليماً، إلا لذلك. ولا بأس في ذلك بحثاً ونظراً، من غير تعمد لمن كمل عقله وعلمه، وفرغت نفسه عن الهوى."

وفي الصحيح: " إذا ذُكر القدر فأمسكوا "[1] واتفق مالك والشافعي وأحمد وسفيان وأبو يوسف على تحريم الكلام في علم العقيدة. وقال بعض شيوخنا: ليس في التوحيد مشكل إلا الكلام والرؤية والقدرة الاكتسابية، وكل ذلك يعتقد فيه الحق ولا يتعرض لما وراء ذلك من الشبه فلم يتكلف السلف -رضي الله عنهم- الكلام في التلاوة والمتلو، ولا في الاسم والمسمى، ولم يتكلفوا تأويل الصفات السمعية المعارض ظاهرها للمعقول، بل يعتقدون كمال التنزيه، ونفي التشبيه، ويقولون فيها ما قال مالك في الاستواء إذ قال: الاستواء معقول، والكيف غير معقول، والإيمان به واحب، والسؤال عنه بدعة، وقد سئل الحسن البصري- رضي الله عنه- عن الله فقال: إن سألت عن ذاته فليس كمثله شيء، وإن سألت عن صفاته، فهو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وإن سألت عن أسمائه فهو الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم، وإن سألت عن أفعاله، فكل يوم هو في شأن."[2]

ونبه كذلك على مسألة أول الواجبات،فقال: والقول بأن النظر أول الواجبات مسألة من الاعتزال بقيت في المذهب كما نقله عن الباجي فقال: " وقال الباجي عن شيخه السِّمْنَانِيُّ: إن القول بأن النظر أول الواجبات مسألة من الاعتزال، بقيت في المذهب على من اعتقدها، نقلها ابن أبي جمرة، وقال بعض العلماء: إن أردت السلامة في اعتقادك، فلا تتبع الشبه، ولا تطلب الكيفيات في أمور الآخرة."[3]

نبه كذلك عن الذي يقع فيه العوام من بعض الألفاظ التي يجب التحرز منها؛ لوقوع هذه الألفاظ في مخالفات عقدية فقال رحمه الله: " ومن القبيح ما يقع للعوام، وينبغي للطالب بل يجب عليه التحرز منه، ألفاظ منها: قولهم: إذا كان في السماء من يحميه، ما في الأرض من يؤذيه. وقولهم: عند وقوع نازلة، أو وجود عارض: أي شيء عملت تحت الله، وهذا مع كونه مشعرا بالجهة، مؤذن باعتقاد نسبة الظلم إلى الله تعالى.

وقولهم: يا حليما، لا يتعجل.

وإطلاق أشياء على أسماء الحق تعالى، مما لم يسم نفسه بها في كتابه، أو على لسان نبيه، وإن كان ذلك ثابتا معناه له تعالى، فالصحيح، أنه لا يجوز أن يسمى إلا بما سمى به نفسه، وإن كان مشتقا من أسمائه، ولا خلاف في منع غير المشتق، حتى قال بعضهم: إنه لا يجوز إطلاق الصفة في حقه تعالى، وإن كانت الصفات ثابتة له، إذ لم يطلقها على نفسه.

ومن ذلك، نسبة بعض الألفاظ المعجمة المجهولة المعنى إلى أنها أسماؤه تعالى، حتى ربما فضلها بعض الجهال على المعربة لما يشاهد من خاصيتها، وقد سئل مالك عنها، فقال: وما يدريك لعلها كفر، نقله عنه المازري، وكان بعض المسلمين يعزم على جان بحضرة بعض النصارى، وكان يضحك منه، فسأله عن ذلك، فقال: عجبا منك تسب ربك ونبيك، وأنت تظن أنك في شغل من ذلك."[4]

كذلك حذر الشيخ من الألفاظ التي توهم الحلول والاتحاد، ومن ذلك ما وقع لبعض الصوفية من قولهم: أنا هو، وهو أنا، وبيّن أنه لا يجوز لأحد اتباعهم فيه، فقال -رحمه الله-: " ومن ذلك ما وقع لبعض الصوفية، من قولهم: أنا هو، وهو أنا، مما يوهم الاتحاد والحلول، وهذا لا يجوز اتباعهم فيه، ولا يجوز لأحد أن يسلم لقائله حالة سماعه وإن ساغ له تأويله بعد وقوعه، وانقراضه بما يوافق الحق، مع إقامة رسم الشرع فيه، وإن صح له اعتقاد قائله مسلما ونحوه، وقد قتل الحلاج بإجماع أهل زمانه إلا أبا العباس بن سريج، فإنه قال: لا أدري ما أقول، وأخرج بسببه جماعة عن بلدانهم، ولم يكن ذلك قادحا فيهم، ولا في مخرجهم، ولا المنكر عليهم.

وقد وقع كثير من هذا النوع، كابن الفارض، وابن العربي، والشُّشتَري، وابن سعبين، مع إمامتهم في العلم، وظهورهم بالديانة، فليتق المؤمن ذلك، مشفقا على دينه، فارّاً من موارد الغلط، راجعا لأصول الاعتقاد، قائما مع الحق بالكلام في القول، لا في القائل، وقائلا في مثل أولئك القوم: ما كان من قولهم موافقا للكتاب والسنة فأنا أعتقده، ومالا فأنا أكل علمه إلى أربابه منزها قلبي عن اعتقاد ظاهره، وإياهم كذلك وقد نص على ذلك الشيخ ولي الدين العراقي في أجوبة المكيين فانظره.

ومن ذلك، قول: ياهو، في استغاثته بالله وندائه، لما في ذلك من الإيهام والتسوي، وعلل أخرى، ذكرها النحاة، وغيرهم."[5]

ومن الألفاظ التي نبه عليها الشيخ- رحمه الله - الموهمة لعقيدة القدرية التي بها إساءة أدب مع الله سبحانه وتعالى، ولكي أقف على مفهوم الشيخ رحمه الله أورد نصه الذي يقول فيه: " ومن ذلك قول الرجل لمن يعذله ويلومه على تفريطه: ما وفّقت لذلك، وهذه كلمة حق أريد بها باطل، وهو كقول الكفار ﴿ هم هى هي يج يحَ (الأنعام: 148) يريدون الاحتجاج لأنفسهم

[1] رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (96/2)
[2] النصيحة الكافية ، ص: 57-58-59-60.
[3] النصيحة الكافية ، ص: 61.
[4] المصدر السابق ، ص: 62.
[5] النصيحة الكافية ، ص: 63-64-65.

بالقدر، فلو قالوا على جهة الأدب لكان حسنا؛ إذ لو شاء الله لهداهم أجمعين، وإنما كانوا في ذلك مذمومين، لقصدهم نقض الحكم بنفي الأسباب رجوعا للقدر، وليس وصفه تعالى بالحكيم بأولى من وصفه بالقدير، ولا بالعكس، فالقيام مع جهة تعطيل للأخرى.
ومن ذلك قول الرجل لمن يسأله عن حاله السيئ كيف هو؟ أن يقول: كيف قدر الله فينسب القبيح إلى الله مولاه، من غير احتشام، ويتسخط قضاءه، إذ يرد ذلك إليه، بإشعار الغبن، حتى كأن الله لم يقدر، إلا ذلك.
ومن ذلك، قول بعضهم لمن يسأله عن حاله: بخير من الله، بشر من نفسي، وهذا إشعار باعتقاد الفاعلية، وإن كان أدباً، والاكتفاء بقوله: بخير كاف في الجواب، والمؤمن بخير على كل حال، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].
ومن ذلك قول بعضهم لمن يسأله عن حاله:
أقولُ بِخَيرٍ وَلَكِنَّهُ ... كَلامٌ يَدورُ عَلى الأَلسنِ[2]
وهذا أيضا جمع إساءة الأدب مع الله بعدم الرضا بما آتاه، والتعرض للشكوى بما يرد عليه منه. وتتبع ذلك يطول، وقد شفا فيه الغليل ابن خليل السكوني، وأبو إسحاق بن دهاق في جزئيهما في لحن العامة، فمن أراد ذلك فليطالع كلامها، لكن بشروط ثلاثة:
أحدهما: أن ينظر ذلك لنفسه، لا لينتقص به غيره.
والثاني: أن يكون ذلك بعد إحكامه الاعتقاد في جميع أموره.
الثالث: ألا يكثر القلقلة بذلك، فيشوش على عوام المؤمنين، وخاصتهم."[3]

عقيدة المؤمن في آل بيت النبي ﷺ وما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم.

من المسائل التي نبّه عليها الشيخ زروق – رحمه الله – عقيدة المسلم في آل بيت النبي ﷺ بمحبتهم وإكرامهم وعدم أذيتهم، وعدم الغلو فيهم، وقد عقد لذلك فصلاً في كتابه باسم: إكرام قرابته، وهذا نصه: " وأما إكرام قرابته صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى: ﴿ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى﴾ (الشورى:21) ، قال ابن عباس: يعني لا تؤذوا قرابتي.[4]
وقال عز من قائل: ﴿ ثز ثم ثن ثى فى في قى قي كا﴾ (الأحزاب:33) قال بعض العلماء - رضي الله عنهم-: يعتقد في أهل البيت أن الله تجاوز عن جميع سيئاتهم، لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه، بل بسابق عناية من الله، فلا يحل لمسلم أن يشنأ، ولا أن ينتقص عرض من شهد الله بتطهيره، وذهاب الرجس عنه."[5]
وأن يُنزل ما وقع بينهم أي بين الصحابة - رضي الله عنهم- منزلة القضاء الوارد من الله تعالى، وأن ما وقع بينهم فكل مجتهد، فقال رحمه الله:" وما شجر بين الصحابة فاجتهادي والأحق علي، وكل في الجنة رضي الله عنهم".[6]
وهناك مسألة أخرى وهي مسألة التكفير، فالشيخ زروق -رحمه الله – يبتعد عن التكفير خاصةً تكفير الأعيان؛ لأنه يرى أنه الأسلم.
ونضرب لذلك مثالاً، وهي مسألة تكفير الحَجَّاج، فإنه يذهب إلى عدم تكفيره، ولا يلتفت لمن قال بتكفيره، وكذلك تكفير يزيد بن معاوية، فإنه يرى أن الصواب أنه من كبار عصاة المسلمين، إلا أن يصح أنه فعل ذلك تهاوناً بالنبي ﷺ فكافر[7]، قال - رحمه الله - : " والصواب أن يزيد بن معاوية فيما صنع فهو من كبار عصاة المؤمنين، إلا أن يصح أنه إنما فعل ذلك تهاوناً بالنبي --صلى الله عليه وسلم-، فكافر، وكذلك الحجاج، ولا التفات لمن قال بكفره، وقد قال ابن سيرين - رحمه الله -: ويل للناس من الحجاج وويل للحجاج من الناس، وقال بعض السلف: إن الله ينتقم من الناس للحجاج، كما ينتقم من الحجاج للناس."[8]
وأخيراً ختم الشيخ زروق -رحمه الله – كتابه بالباب الخامس وهو النصيحة لخاصة المسلمين، وأستخلص من ذلك ما عليه عقيدة أهل السنة والجماعة من الطاعة للأمراء، وعدم الخروج عليهم، وعدم شق عصا الطاعة، فقال - رحمه الله- : " وأما الطاعة للأمراء: فقال عمر -رضي الله عنه- لسويد بن غفلة: يا سويد بن غفلة لعلك لا تلقاني بعد ليوم فعليك بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا مجدعا، إن شتمك فاصبر، وإن ضربك فاصبر، وإن أخذ مالك فاصبر، وإن راودك عن دينك فقل: طاعة مني ذمتي دون ديني، ولا تخرج يدا من طاعة، وهذه وصية جامعة لما تضمنته الأحاديث المتضافرة.
وقد أوحى الله إلى بعض الأنبياء: (أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسبهم وادعوني أُعطفهم عليكم) وقال سفيان رضي الله عنه: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه.
وقال عليه السلام: (سيكون أمراء وذكر من ظلمهم وفسقهم قالوا: نقاتلهم يا رسول الله قال: لا ما صلوا)[9] قال العلماء: وذلك؛ لأن الصلاة عنوان الإيمان، فإذا تركوا الصلاة، يعني: جاهروا بذلك، وأمروا به، فقد كفروا أو كادوا، ولا طاعة لكافر."[10]

---

[1] في الحديث الذي أخرجه مسلم " عجبا لأمر الْمُؤمن إن أمره كُله خير وَلَيْسَ ذَلِك لأحد إِلَّا لِلْمُؤمنِ إن أَصَابَته سراء شكر فَكَانَ خيرا لَهُ وَإِن أَصَابَته ضراء صَبر فَكَانَ خيرا لَهُ».
[2] تنسب هذه الأبيات لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (المتوفى: 521هـ)
[3] النصيحة الكافية ، ص: 67-68-69.
[4] تفسير ابن كثير (201/7).
[5] النصيحة الكافية ، ص: 125.
[6] المصدر السابق ، ص: 127.
[7] إشارة منه إلى قتل الحسين رضي الله عنه تشفياً وانتقاماً منه وأخذاً بثأر جده عتبة وخاله الوليد بن عتبة، وهذا القول أحد قولين ظاهرهما البطلان؛ لأنه لم ينسب إلى أحد من أهل العلم، ومعتقد أهل السنة والجماعة: لا يسب ولا يحب؛ أي لا نحبه ولا نسبه.
[8] النصيحة الكافية ، ص: 127.
[9] أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع (23/6) رقم الحديث (4906).
[10] النصيحة الكافية ، ص: 143-144.وقال الشيخ زروق -رحمه الله- في القاعدة التاسعة والثمانين: حفظ النظام واجب، ومراعاة المصلحة العامة لازم، فلذلك أجمعوا على تحريم الخروج عن الإمام بقول أو فعل.

الخاتمة

وفي ختام هذه الوريقات نسأل الله القبول، وما هو إلا جهد المقل من عمل البشر، وعمل البشر لا يخلو من تقصير وخلل، فإن كان صواباً فمن توفيق الله وحده، وإن كان غير كذلك فالكمال لله وحده.

وأحسب أني قدرت هذا الشيخ قدره وإن كانت وريقات قلائل لا تكفيه قدره، وأحسب أنه من المصلحين الذين أرادوا الإصلاح المجتمعي، وأخلص من هذه الوريقات إلى ما يلي:

- جهود الشيخ زروق – رحمه الله – في إصلاح الناس فقهاً، وعقيدةً، وسلوكاً كثيرة ومتعددة.
- ندعو إلى تسليط الضوء أكثر على مناهج الشيخ المتعددة في مجالات الإصلاح المجتمعي.
- مكانة الشيخ – رحمه الله- وما كان يتميز به من مكانة مرموقة بين علماء وفقهاء عصره.
- تميز الشيخ بجمعه بين الفقه والتصوف جمعاً علمياً مبنياً على الكتاب والسنة، وهو نتاج علمي تحصل عليه من ترحاله بين المغرب والمشرق.
- تميز كتابه بسهولة ألفاظه وعدم استعمال العبارات الغامضة؛ ليصل إلى أذهان وعقول الناس بكل سهولة ويسر.

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب - الدار البيضاء
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر 2002 م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ- 1999 م.
- الحركة الفكرية في عهد السعديين، محمد حجي مطبعة فضالة سنة النشر (1397) هجري.
- دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، محمد بن أحمد شقرون، دار الثقافة/ الدار البيضاء، ط:1 سنة النشر1985م.
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية 1977م
- ذكريات مشاهير رجال المغرب، عبدالله كنون، دار الكتاب اللبناني.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 1349ه.
- شرح المقدمة القرطبية، أحمد زروق، تحقيق: أحمد زقور، دار ابن حزم، لبنان/ دار التراث ناشرون، سنة النشر 2005م.
- الشيخ أحمد زروق وآراؤه الإصلاحية، تحقيق ودراسة لكتابه " عدة المريد الصادق" ، إدريس عزوزي، مطبعة فضالة المحمدية- المغرب.
- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة،(ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
- عدة المريد الصادق، أحمد زروق، تحقيق : الصادق عبدالرحمن الغرياني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2006م.
- الكناش، صور من الذكريات الأولى للشيخ أحمد زروق، تحقيق: علي فهمي خشيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان.
- النصيحة الكافية، أحمد زروق، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: قيس محمد آل الشيخ مبارك، ط:1، 1993.
- وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ، عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء، سنة النشر 1976م.